ومما ينال به الخامل أعلى الرتب، التحلي بأنواع جواهر الأدب

الأدب فينبغي الاعتناء بتحصيله لمن يريد أن يسمو به حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله
فيلحق صاحبه بالأفاضل وتنظر إليه العيون لأجله بالإجلال وتقبل النفوس به
فيكمل دينه بتتابع الأفعال ويسمو التجمل به إلى أن يبشر به قول جعفر وأعجبه

موفق يسبل إلى الشر يتبعه ... يرى به كل ما يأتي ويجتنب

وهو نوعان طبيعي وكسبي فالطبيعي ما كان من جميل الخصال الذاتية على كرم الطبائع
والكسبي ما استفاده الشخص من أهل الأدب من أقوال الأدب بملازمة العلوم ودوام سماع
وقوانينه ترتب عليه في هذا الموضع ليقع ذكره في النفوس أعز موقع وقوانين الكلام
في لسان العرب والكلام على ما اشتمل عليه من علوم الأدب العشرة كالنحو واللغة
والصرف ونظم الشعر وإنشاء النثر وما يتعلق بذلك من البديع وعلمي المعاني والبيان
وما ذكره مصنفو كتب الأدب من أخبار الرواة ودعم عليه وأسماء المتوصلين الملاحين من
الخلفاء والعوائد من الوزراء وسموا نشر مجالسهم بالجلساء والشعراء فقال أكثم
ابن صيفي الرجل بلا أدب شخص بغير آلة وجسد بلا روح وقال بزرجمهر الأدب
شرف لا يكتسب إلا بمثله وقال الأحنف لكل شيء دولة ودولة الشرف الأدب
وقال أنوشروان عجبت لمن يشتري الأدب كيف لا تنزع نفسه إلى مكرمة وقال
بعض الأعراب لولده عليك بالأدب فإنه يرفع العبد المملوك حتى يجلسه في
مجالس الملوك وقال عبد الملك لبنيه يا بني إن كنتم ملوكا برزتم وإن كنتم أوساطا
سدتم وإن أعوزكم المعاش عشتم استغنيتم وأمر الأدب وتوكلته واحدة وقال بعض
الأعراب تعلموا الأدب فإنه زيادة في العقل ودليل على الفضل وصاحب في الغربة
وأنيس في الوحدة وجمال في المحافل وسبب إلى درك الحاجة وقال المأمون والله إن
أصون لما بالله خير مراة أموت فانعاملا يحمل ثقال ذكر ملتك بالأدب
كما تزكى النار بالحطب وقال الخليل بن أحمد من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به
جمالا وقال الأدب أكرم الجواهر طبيعة يرفع ... بالوضيعة ويعبر الغايات
الجليلة ويجمع النفوس والوسيلة بالتيسير حلية وتزينه حلية فإنه أنجى معاش
وأجل باعث وقال الشعبي الأدب للفقير مال وللغني جمال وللحكيم كمال
ولقد أحسن من قال حاثا على استفادته داعيا إلى تعلمه ودع ما سواه جسر ... صحبه

ح

٧٥

لو وزنتم رجلا ذا أدب ... بألوف من ذوي الجهل رجح

ومما يذكر أن التحلي بالآداب يُلحق الوضيع بذوي الأحساب

فيعلي من قصر به نسبه فيحظى به وقالوا من فاته نسبه حسب أحسن
فاعمل الرتبة وقالوا الأدب يبلغ بصاحبه الشرف وإن كان دنيا والمعانة وإن
كان رديا والغنى وإن كان فقيرا والنبل وإن كان حقيرا ومن يستغني بالأدب
عن الحسب كما حكي عن سيبويه قال فكلم رجل يوسف بن ... المأمون فأحسن فقال له المأمون
ابن من أنت قال ابن الأدب يا أمير المؤمنين فقال نعم النسب الذي انتسبت إليه
ولهذا قيل المرء من حيث ثبت لا من حيث نبت ومن حيث يوجد لا من حيث يولد وقال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال بزرجمهر من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعا وبعد صيته وإن كان خاملا
وساد وإن كان غريبا وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرا وقالوا من أدب
ابنه في الصغر أدرك حاجته وملك ناصيته وقبل قوله وفي ذلك قال الشاعر

لكل شيء زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الأدب
قد يشرف المرء بآدابه ... فينا وإن كان وضيع النسب

آخر
كم من حسيب وضيع القدر ليس له ... في الحي بيت ينمي إلى حسب
قرطاس بالأدب المحمود ذا شرف ... فقال وذا النسب محض وذا النسب
يعلو الناس بأقوال ويرفعهم ... حتى يبالوه في العليا بلا ريب
إن الأديب لمستغن عن الحسب ... وذو الحساب محتاج إلى الأدب

آخر
فاعجب لذي حسب لم يشتغل به ... واعجب لذي أدب أغناه عن حسب
من كان ذا حسب فليطلب أدبا ... فمن ليس بنسبته إن حاز ذا ...
ما الكلب نجسك إذا ... حتى تسود بها من يطلب ...

ويقال حسن الأدب يستر قبيح النسب وقالوا الجهل بالفضل والأدب أدبار
هل والنسب ويقال الأدب ينوب عن الحسب ولا ينفع حسب بلا أدب وقالوا
المرء بآدابه لا بثيابه وبفضائله لا بفصيلته وبخصاله لا بمخايله ولا أدب
له يشينه وبكماله لا بجماله وبأفعاله لا بأقواله وفي ذلك ...

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)